دراسات تاريخية المجلد العاشر العدد الثاني السنة 1444هـ/2022م ص ص 30-49



مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول الى القرن الرابع للميلاد .

The pagan Christian conflict in the Roman Empire from .the first century to the fourth century AD

حسام الدين شاوش

HOUSSAM EDDINE CHAOUCH

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

houssam.chaouch@univ-alger2.dz

الارسال: 2022-06-29 القبول : 2022-09-17 النشر:2022/10/03 المرسل: حسام الدين شاوش

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى البحث في الخلفيات والدوافع وراء الصراع الديني الوثني المسيحي، الذي كان قائم أيام الإمبراطورية الرومانية ،بداية من ميلاد المسيحية في فلسطين على يد المسيح في القرن الأول للميلاد، ثم انتشارها وصدامها مع السلطة الرومانية ،التي اعتبرت السلوك المسيحي الرافض لجملة المعتقدات الوثنية الرومانية، خروجا عن القانون وتهديدا لسلامة واستمرارية الدولة ،خاصة و أن التهديدات الخارجية والأخطار الداخلية المختلفة كادت أن تعصف بها خلال القرون الثلاثة الأولى ،ما استوجب وضع حد لخطر المسيحية المتنامي والتعجيل بالقضاء عليها، عبر سلسلة طويلة من الاضطهادات ،كانت بدايتها مع الامبراطور نيرون ونهايتها في عهد الامبراطور قسطنطين ،الذي أعاد ترتيب أولويات السلطة تجاه المسيحيين بما ينهي الصرع الديني القائم ،ويرسم لسياسة دينية جديدة تدخل فيها المسيحية كديانة معترف بها رسميا ،على قدم سواء مع الوثنية من خلال مرسوم ميلانو الشهير في 313 م.

الكلمات الدالة : الصراع الديني ، الوثنية ، المسيحية ، الإمبراطورية الرومانية ،قسطنطين .

Abstract

The aim of this study is to research into the backgrounds and reasons of the religious pagan christian strifes which was existed in the era of Roman Empire as of the Christianity in Palestine under the Jesus in the first century AD.Then,its proliferation and clash with Roman authority which considered the rejectionist christian conduct of Raman pagan beliefs which is outside of the law and endanger the safety and sustainability of Empire particularly the different interior and exterior threats that nearly blew away within the first three centuries.hence the need to put a stop the burgeoning endangerment of Christianity and hatening to eradicate it through the chain of persecutions.It all started back with Neron Emperor and its end in the era of Constantine Emperor who rearranged the priorities of the authority towards the christians to put an end over the religious conflict as well to pave the way to new religious politics that includes the Christianity as an official and confessed belief with a Paganism through famous Milano's decree (Edict of Milan) in 313 AD.

Keywords: religious conflict,paganism ,Christianity, Roman Empire, Constantine.

مقدمة:

جمعت الإمبراطورية الرومانية بين المرتكز الديني الروماني والأفكار السياسية اليونانية وطورت نظام شامل للحكم، بما في ذلك المعتقدات الدينية، التي تم صقل بعضها في الشرق وخاصة القادمة من بلاد فارس لإبراز صورة مثالية للحكام، و الذين رسخوا فكرة أن الدين هو الأرضية التي تقوم عليها الدولة وأن نجاح روما يعتمد على دعم الآلهة. كان يُنظر إلى الحكام الرومان على أنهم يتحكمون في جميع الأنشطة الدينية في أراضيهم، وكان يُنظر إليهم على أنهم أوصياء باسم ومعية الآلهة ، لقد عكست المؤسسات والممارسات الدينية علاقة القوة داخل المجتمع الروماني وقدمت مبررًا للسلطة للاستمرار معتبرة أي مساس بهذا النهج الديني وطبيعة الموروث الوثني في روما محاولة للمساس بالسلطة نفسها وضرب لسلامة المجتمع وازدهاره ، خاصة اذا فهمنا السياقات التاريخية التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية في صعودها ، ثم التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كادت أن تعصف بها خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ،التي جعلت من اباطرة الرومان يجمعون على ضرورة الوحدة الدينية الممثلة في المعتقدات الوثنية الرومانية الجامعة للكل، ومع صعود المسيحية كديانة جديدة مستقلة تمامًا عن هيكل سلطة الدولة ، وإصرارها على قانون أخلاقي صارم، و التزامها الرسمي بمعتقداتها الدينية حول ألوهية المسيح بدل الإمبراطور ، برز الصدام بشكل واضح بين الوثنية والمسيحية كنهجين دينيين متضادين في طبيعتهما وأفكارهما من جهة، وبين السلطة الرومانية والمسيحيين كمسؤولين عن استمرارية كل من الديانتين من جهة أخرى، لقد اعتقد المسيحيون أنهم سيخلصون البشرية و أنفسهم من خلال تضحية المسيح بنفسه، وعمل مبشروها على ترسيخ مفهوم تضحية الاله نفسه في سبيل الإنسان على عكس ما حملته المعتقدات الوثنية السابقة بمختلف أنواعها، والتي كرست فكرة تضحية البشر بأنفسهم في سبيل الالهة أو ممثلها في شخص الإمبراطور ، ان جاذبية هذه الفكرة شكلت نقطة الارتكاز في الصراع الوثني المسيحي خلال القرون الأولى من الميلاد ، وهو ما يدفعنا للبحث أكثر عن حقيقة هذا الصراع من خلال طرح التساؤلات التالية : ماهي العوامل التي أدت الى صعود المسيحية وانتشارها ؟ و كيف كانت سياسة اباطرة الرومانيين تجاهها ؟ ثم الى أي حد نجحت سياسة الاضطهاد في كسر تقدم المسيحية واستمرارها ؟.

1. أسس الديانة الرومانية :

مهدت فلسفة الحكم الروماني الطريق لسيطرة روما على أجزاء كبيرة من حوض البحر الأبيض المتوسط والتوسع أكثر لتضم أقاليم جديدة ،كما ربطت أجزاء إمبراطورتيها بشبكة واسعة من الطرقات وفرضت قوانينها ولغتها ،ما خلق نوعا من السلام الروماني على ضفاف المتوسط الذي ساهم بشكل كبير في نقل ثقافات الشعوب المحيطة وتمازجها مع الثقافة والعادات والتقاليد الرومانية، بل تجاوز الأمر الى الديانة الرومانية نفسها حيث شهدت تأثيرات مختلفة شرقية فارسية ومصرية فضلا عن التأثيرات الاغريقية[1]

جعل من الناس تسعى إلى البحث عن الأشخاص الذين يمكنهم الاستجابة لمخاوفهم الخاصة وتلبية احتياجاتهم الروحية والمادية ، لقد كان النهج الروماني الديني مستوعب لكل التأثيرات الخارجية، ولم يحاول فرض أي دين رسمي ومصرح به على الشعوب التي تقع تحت الحماية الرومانية [2] .

إن هذا النهج الديني تطور تاريخيا عبر مراحل الحكم الروماني المختلفة منطلقا من أسس الديانة الرومانية الرسمية نفسها والتي نجدها تتشكل من مجموعة المعتقدات والممارسات المعبر عنها في نظام متطور من المؤسسات الدينية، جملة تلك المعتقدات والعبادات كرست فكرة أن استمرار وازدهار المجتمع مرهون بالآلهة ورضاها، اضافة الى الأداء الصحيح للممارسات الدينية الموروثة من الماضي، شريطة ألا تخرج كلها من تحت أعين السلطة الحاكمة، فالكهنوت مثلا كان يحتفظ به نفس الرجال الذين شغلوا مناصب سياسية في روما. [3]عكست الثنائية بين المؤسسة الدينية والسلطة علاقة القوة داخل المجتمع وقدمت مبررًا للنظام القائم للاستمرار معتبرا أي مساس بهذا النهج الديني وطبيعة الموروث الوثني في روما محاولة للمساس بالسلطة نفسها وضرب لسلامة المجتمع وازدهاره .

غير أن هذه الاستمرارية عرفت نوع من الاختلال بسبب عدم مواكبة التطور التدريجي للأفكار و الاحتياجات الدينية المتزايدة للفرد الروماني، وما صاحبها من تغيرات اجتماعية وسياسية حيث أصبح تقبل تعددية الآلهة الموروثة من العهد الملكي صعبًا للغاية ومرهقًا، ومعقدًا جدا لدرجة أنه انهار من تلقاء نفسه مع مرور الزمن[4]،وأصبح الرجال أكثر استعدادًا في كل مكان للتوجه إلى شكل أبسط من عبادة الآلهة والمعتقد ديني بشكل عام، كان هذا يعني شكلاً من أشكال التطور و التوجه نحو الانفتاح على المعتقدات الدينية الخارجية، و الذي كان يتوسع باستمرار من خلال اندماج الآلهة الجديدة والمعتقدات الوافدة، وبذلك تكونت بوضوح ميول مجتمعية في وقت مبكر من الأيام الأخيرة للجمهورية وخاصة عند المفكرين والطبقات العليا للمجتمع ، تبحث كلها عن بدائل خارج الديانة الرومانية الموروثة [5] ،خاصة وأن هذا التطور الروماني في الأفكار الدينية الموروثة لم يصل الى تحقيق حالة الرضى النفسي لديهم، ما فتح الباب للإيمان بالقوى الإلهية اليونانية و ألهه الشرق الأدنى واليهودية والمسيحية لاحقا، في محاولة لملء الفراغ الروحي لدى الفرد الروماني .

2. الصراع اليهودي الروماني:

برزت اليهودية كطرف أساسي في الصراع الديني القائم في الدولة الرومانية بين الوثنيين والمسيحيين بدعوتها للتوحيد واقبال الافراد عليها، و يكمن سر اجتذاب الديانة اليهودية للوثنيين في سمتها الروحية وفي اقبال المتعبد عليها، خاصة وان اليونانيين والرومان بكل امجادهم الفكرية كانوا يعانون من الجدب الروحي بعد ان اصبحت الديانة الرومانية تتجه اكثر لتكون ديانة الطقوس الرسمية، و لم تكن غالبية اليهود الساحقة موجودة في يهوذا في أرض فلسطين، بل ان اليهود كانوا منتشرين في شكل جاليات في أغلب مناطق البحر المتوسط وكان أكثرهم من الوثنيين الذين تهودوا حديثا، [6] شارك اليهود من نواحٍ عديدة في الثقافة السياسية والاجتماعية المحيطة بالفترة الهلنستية والإمبراطورية الرومانية المبكرة ، لكنهم كانوا مختلفين اختلافًا جذريًا في النواحي الدينية ،[7]غير أنهم حافظو على وحدة معينة في التقاليد والاعتقاد الراسخ بأن أسلوب الحياة اليهودي مستوحى من الله وهو الذي

يرعاه ويوجهه وأن الله اختار إسرائيل. وفاءً بوعده لإبراهيم لحمل رسالته " والذي يقول في سفر ارميا :" اِسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، وَكُلَّ عَشَائِرِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ." [8] .

برز التشدد اليهودي على ذلك الأثر في الحاجة للمحافظة على ارثهم الديني من أي تدخل خارجي أين كان نوعه ومصدره ،وفي نفس السياق يقول المؤرخ اليهودي جوزيفوس (Josephus Flavius) لخصومه الوثنيين: "انه لا ينبغي أن يكون هناك ما يثير الدهشة في مواجهة الموت نيابة عن شريعتنا بشجاعة لا يمكن لأي أمة أخرى أن تضاهيها". علاوة على ذلك ، أشار جوزيفوس أيضًا إلى أنه "من غريزة كل يهودي ، منذ يوم ولادته ، اعتبارها الشريعة بمثابة أحكام الله ، والالتزام بها واجب، وإذا لزم الأمر الاستشهاد في سبيلها "، لذلك كان الاستشهاد المسيحي مسبوقًا بالاستشهاد اليهودي.[9] للدفاع عن شرعية وأحقية معتقدهم الديني في مواجهة أي معتقد ديني مخالف لهم ،وهو ما شكل لاحقا الأرضية الروحية والدينية التي انطلقت منها فكرة الاستشهاد المسيحي وتطورت في المسيحية بتضحية المسيح نفسه في سبيل خلاص البشرية .

كانت السلطات الرومانية متسامحة مع اليهود اذا ألت على نفسها حماية ديانتهم واعطتها ضمانات ترجع الى عهد يوليوس قيصر(Gaius Julius Caesar) ،بموجبها زاولوا شعائرهم الدينية في حرية وأمن و سمح لليهود بإصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الامبراطور، كما تم إعفائهم من الحظر المفروض على تصدير المعادن الثمينة من الإمبراطورية الممنوحة لصالح ضريبة المعبد اليهودي ، وهو امتياز تلاه بعد فترة وجيزة إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية الرومانية[10] .

رغم كل الامتيازات التي منحها الرومان لليهود الا انهم قابلوها بروح انفصالية وتعصب ديني وانعزال عن المجتمع، [11] وقد يفهم هذا الانعزال إذا ما تتبعنا السياق التاريخي الذي نمت فيه اليهودية وطبيعة الحياة الدينية اليهودية المنغلقة على نفسها وغير التبشيرية ،وهو مالم يفهمه(انطيوخوس أبيفانس) (Antiochus IV Epiphanes) ، ملك سورية السلوقي ،من الخصوصية اليهودية، بحيث قرر أن يستخدم القوة عندما رأى بطء عملية تحويل جميع الشعوب الخاضعة لسلطته إلى الهلنيستية ، وأجبر بذلك اليهود على عبادة(زيوس)، و أجبرهم على أن لا يلزموا السبت ، وكذلك منعهم من امتلاك نسخ من مؤلفاتهم المقدسة أو من ممارسة العبادات، لقد كانت طبيعة الحياة اليهودية الدينية متكيفة مع ضغوطات السلطات لأن المؤمنين اليهود تحملوا الضيم في سبيل ذلك، ولكن عندما كان يتعرض دينهم للخطر فإنهم لم يترددوا في التمرد دفاعا عن دينهم[12] .

بداء الخلاف اليهودي الروماني يتضح بصورة أكبر مع اعتلاء الامبراطور (كاليجولا) (Caligula)عرش الامبراطورية في37م ،حيث امر جميع اتباع الديانات الموجودة آنذاك ان يقدموا قربانا له، وامر رجاله في اورشليم ان يضعوا تمثاله في الهيكل وذلك عملا بمعتقد عبادة الامبراطور ،وهو ما جعل من اليهود يظهرون امتعاضا شديدا من تصرفات الامبراطور كاليجولا لتنتهي مشكلتهم بوفاته ،غير انهم في عام 70م ثاروا في جوديا من جديد ، وتمكن الرومان من قمع الثورة بعنف وقتل معظم اليهود الذين كانوا في القدس، ودمر الهيكل وأدت هذه الضربة الى تشريدهم في جميع أنحاء الامبراطورية ، [13]ليفقد اليهود بذلك الثقة في روما وبالتالي نمى لديهم حلم الخلاص من يد السلطات الرومانية.

روج أحبار اليهود لفكرة تدخل الله بنفسه، أو أن يرسل مسيحا مخلصا يدفع عنهم الذل والهوان وسيطرت تلك النبوءة على تفكير آلاف اليهود [14] وعلى أساس تلك النبوءة ولدت المسيحية من الرحم اليهودية مضطربة وحاملة الأمل اليهودي المسيحي الديني والسياسي في السيادة ، الا أن هذا الأمل انتهى بالفشل والتمزق وبانفصال اليهود عن المسيحيين لتبدأ النزاعات بين الوثنيين والمسيحيين من جهة وبين الفرق اليهودية من جهة اخرى [15] .

أمن اليهود أن خضوعا مذلا للاستعباد الروماني، يعني التخلي عن يهوه ربهم وسيدهم الأوحد، وكانوا مقتنعين بأنهم بإشهارهم السلاح سوف يعجلون بمجيء المسيح المخلص، [16] لتتوسع وتنتشر بذلك الثورات اليهودية ، في شكل أعمال شغب بدوافع دينية و سياسية متداخلة، فثاروا في قبرص ،سوريا ،فلسطين ، مصر وبرقة تحت زخم قياداتهم الدينية، وبرزت لاحقا الحركة المسيانية اليهودية في شكل صراع عرقيً ودينيً ،يقول المؤرخ (ديون كاسيوس) (Lucius Cassius Dio) على إثر تلك الثورات أن اليهود"، ذبحوا الرومان واليونانيين في قورينا، وأكلوا لحومهم، وتمنطقوا بأحشائهم، وفركوا دمائهم لقد قاموا بنشر العديد من منتصف الجسد، وعرّضوا البعض الآخر للوحوش وأجبروا البعض على القتال كمصارعين هاجموا معبد زيوس وحطموا تمثال الإله إلى ألف قطعة" [17].

مهد اليهود الطريق للمسيحية لأنهم كانوا جنسا ترقب بفارغ الصبر ما جاءت به المسيحية، الا وهو المخلص الالهي للبشرية، في أوضاع عالمية تعيد إليهم مجدهم وتدك أعدائهم، جعلت منهم النواة الأولى للمجتمعات المسيحية لاحقا في كل ربوع الإمبراطورية، وقد وجدت المسيحية باكورة انصارها والمؤمنين بها من بين ذلك الشعب، وأعد اليهود للمسيحية مجموعة من الأسفار المقدسة وهي العهد القديم من الكتاب المقدس قبل ان يتوفر الوقت للمسيحية أن تنتج اسفارها، ووجدت بين يديها كتابات كانت لها عونا قويا وارتكز يسوع نفسه على العهد القديم لإسناد حياته وتعاليمه وحذا حذوه اتباعه والاقربون من بعده [18] .

لعبت المجتمعات اليهودية دورا مرحلي أساسي في التوسع المسيحي في القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد ، وهو ما يعكس كون الأصول اليهودية جزء أساسي في الديانة المسيحية، وطرف أصيل في الصراع بين الوثنية والمسيحية، وهو ما يفسر خلط الرومان بين الطائفتين لفترة طويلة ونقلوا إلى المسيحيين الأحكام المسبقة التي مارسوها تجاه اليهود [19].

3. ميلاد المسيحية وانتشارها :

نشأت المسيحية من حياة يسوع الناصري ووعظه وموته، وبدأت كحركة تجديد داخل اليهودية، واعتبر أعضاؤها الأوائل إيمانهم بيسوع القائم ليس دينًا جديدًا، بل تأكيدًا لوعود الله لإسرائيل حيث يقول الرب " أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا" ، [20] لقد ورثت الأجيال الأولى من المسيحيين كتاباتهم المقدسة والعديد من مواقفهم ومعتقداتهم المميزة بالإضافة إلى الكثير من تنظيماتهم من اليهود، كانت مشاكلهم أيضًا يهودية ، [21] على الرغم من الغموض الذي يكتنف تاريخ المسيحية المبكر، الا انه من الراجح أن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ولد في بيت لحم على بعد خمسة أميال جنوبي القدس خلال عهد الامبراطور أوغسطس 27ق م ، [22] هذا الميلاد المسيحي في أرض فلسطين جعل من المسيحية تدخل عالما ضاجا

بالأفكار والمعتقدات ، وجدت فيه عقول الناس حافة بشتى الافكار عن الكون والخطيئة والعقاب والثواب وقد تناولت هذه الموضوعات وهذبتها وتفاعلت معها، ولم تغرس المسيحية بذورها في أرض عذراء بل أخذت المواد الموجودة يومئذ واقامت عليها كيانها و قدم اليونان خدمة جليلة أخرى للمسيحية ،بإعداد اللغة التي تحدث بها دعاتها ومبشروها ،وقد كانت اللغة السائدة في حوض المتوسط هي اليونانية الدارجة وهي اللغة التي كانت وسيلة التفاهم بين الشعوب وبهذه اللغة نادى المبشرون الأولون وكتبت بها الأسفار المسيحية الأولى [23] المستسقاة من تعاليم الجيل الأول من الدعاة ،بعد إعدام يسوع حسب الاعتقاد المسيحي، والتي ناشدت الناس كبديل حقيقي للممارسات الدينية الوثنية ،لقد جذبت المسيحية بشكل خاص الأشخاص الذين يبحثون عن بديل للأخلاق التقليدية الرومانية، على عكس طقوس العبادات الشرقية مثل عبادة (إيزيس) (ISIS) أو (ميثرا) (MITHRA) ، فإنها لم تدور حول الأعمال الرائعة للإله، بل بالأحرى معاناة الإنسان، الذي تجرأ على تحدي السلطة القائمة والاستشهاد في سبيل تحقيق الخلاص الأبدي، وفي غضون جيلين انجذب الناس إلى العقيدة الجديدة لأنها كانت مستقلة تمامًا عن هيكل سلطة الدولة ، وإصرارها على قانون أخلاقي صارم[24] .

إن ادراكنا لتاريخ المسيحية في عصرها الأول وكذلك معلوماتنا عن انتشارها بشكل دقيق في أرجاء العالم الروماني ضلت ضئيلة جدا وغير كافية ،وإن كان من الثابت هنا أن القديس بولس قام بدور فاعل في تنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ووضع قواعد اللاهوت وما يرتبط به من فلسفة تعالج الاخلاق والأخرويات كالموت والبعث والحساب والخلود، فضلا عن دوره في وضع أسس الكنيسة الكاثوليكية العالمية [25].

لقد انحصرت عملية الانتشار في محاولات تبشيرية على يد البحارة والتجار والعبيد والجنود الذين تنقلوا عبر الإمبراطورية حاملين معهم فكرة المسيحية، ليتم تدريجيا إنشاء مجتمعات حضرية بدءًا من (قيصرية)و(أنطاكية) و(كورنثيا)، لتعرف جميع المدن اليونانية تقريبًا المسيحية مع نهاية القرن الثاني، ثم الى مقاطعة أسيا الصغرى حيث تضاعفت بها الكنائس[26] .

ومنها الكنائس السبع التي يذكرها الكتاب المقدس بالقول: أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ. وَالَّذِي تَرَاهُ اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: إِلَى أَفَسُسَ، وَإِلَى سِمِيرْنَا، وَإِلَى بَرْغَامُسَ، وَإِلَى ثَيَاتِيرَا، وَإِلَى سَارْدِسَ، وَإِلَى فِيلاَدَلْفِيَا، وَإِلَى لاَوُدِكِيَّةَ [27] ،ثم منها لي مقاطعة بنثيا (Bithynia) الواقعة على (البحر الأسود)، إن عملية الانتشار كانت منطلقة بالأساس من المدن والريف السوري، الذي شكل عن طريق موانئه طريقا نحو اليونان و أفريقيا و ساهمت الحركة التجارية بين قرطاج و مواني(الساحل السوري حاليا) في نقل الديانة الجديدة منذ العهود الأولى، وكانت كل من (القدس)و(أنطاكية) و(الاسكندرية) من أهم مراكز التبشير المسيحي، ومناطق اتصال بين مسيحيي الشرق وسكان افريقيا في غرب البحر المتوسط، بالإضافة الى دور الرحلات البحرية التجارية بين روما وقرطاج، [28] على الرغم من عدم قبولها عالميًا بعد إلا أن الأساقفة قد هيمنوا عمومًا على الكنيسة بطريقة هرمية في الأساس، فقد حكم كل أسقف مدينته والمناطق النائية كشخصية سلطوية لا جدال فيها، [29] و اكتسب سلطته الشرعية بربطها بخط مباشر يعود إلى رسل المسيح، حيث كان الأساقفة مستقلين بشكل أساسي

عن كل السلطات الأخرى، على الرغم من ظهور ترتيب تقريبي للأساقفة، يعتمد إلى حد كبير على أهمية مدنهم ،ليسيطر الأساقفة على الكنائس وأصبحوا شخصيات ذات مكانة كبيرة في مجتمعاتهم المحلية [30] .

كما حددوا طبيعة العبادة العامة، وصرف الأعمال الخيرية، وتنظيم العدد المتزايد من رجال الدين (الكهنة والشمامسة ورجال الدين الصغار) الخاضعين لسيطرتهم، وهكذا ظهر الأسقف كشخصية رئيسية في المجتمع ككل ليصل هذا التنظيم بحلول وقت قسطنطين، الى اتفاق عام بين المسيحيين حول الكتب التي يجب اعتبارها جزءًا من الكتاب المقدس وغيرها، وليتم ترتيبها في العهد القديم بطريقة تختلف اختلافًا كبيرًا عن اليهود،[31] كان هناك أيضًا اتفاق أساسي على فكرة أن الله كان ثالوث مكونًا من الآب والابن والروح القدس، بالإضافة إلى ذلك ، تم الاتفاق على أنه يجب على المسيحيين أن يعيشوا نوعًا معينًا من الحياة وأن يتعبدوا معًا وعلى انفراد وفقًا لمعايير التي وضعها مشرعوهم والتي لا تزال موضوعة لليوم [32].

من هذا المنطلق بدأت المسيحية تنتشر انتشارا حثيثا بحيث لم يمر القرن الأول ميلادي حتى أصبحت كل ولاية رومانية مطلة على البحر المتوسط تضم في تعدادها جالية مسيحية ،بل ان المسيحيين كانوا جالية ملحوظة في العاصمة روما نفسها ،منذ وقت مبكر يعود الى النصف الثاني من القرن الاول ميلادي مما عرضهم لشتى أنواع الاضطهاد [33]، وقبل انتهاء القرن الثاني أتسعت الدائرة المسيحية أكثر لتشمل الطبقات العليا مثل أعضاء مجلس السيناتوس ، الفرسان ، الاطباء ، ضباط الجيش ،المحامين والقضاة ،مما كان ينذر بالخطر والخوف من هذه الديانة الجديدة الصاعدة التي تمكنت من النسيج الاجتماعي والاداري والعسكري الروماني ،[34]خاصة وانها استفادة من حالة السلام تحت حكم سلالات(الأنطونيين) (96م-192م) وأسرة سيفيروس (Severus) (193م-235م). [35] ما سمح لها بالازدهار أكثر ،و هو ما يعكس في نفس الوقت أزمة دينية للوثنية التي عجزت فيها عن القيام بدور البديل في وجه المسيحية الصاعدة، والمحافظة على التراث الوثني والأسس الدينية للعالم اليوناني الروماني ،ما جعلها تدخل مرحلة اندماجً شكلت فيها عبادة الإمبراطورية والدولة ثنائية دينية سياسية في مواجهة المسيحية التي تؤكد نفسها على أنها عالمية.

غير أن هذا السلام لم يدم طويلا ،حيث اندلعت ردود فعل متفرقة ضد هذا الدين الجديد الذي تميز أخيرًا عن اليهودية التي كان لها دور أساسي في تعميق الصراع والاضطهاد ضد المسيحيين ، خاصة اذا فهمنا الدور الذي لعبه اليهود في عدائهم المتزايد وسعي زعماء اليهود للقضاء على الديانة الجديدة المناكفة لهم ابتداء من تحريضهم ومشاركتهم في صلب المسيح و قتله حسب الرواية المسيحية بعد ان اتهموه بتهديد عرش اسرائيل وتعكير صفو السلام الروماني، ثم الى دورهم في تأليب الرومان والوثنيين من العامة على المسيحيين.

لقد صاحب العداء اليهودي رد فعل مسيحي واصرار على أن يخرج المسيحيون من كنف اليهودية، وأضطر الرومان الى تحقيق رغبتهم، حيث كان خروجهم معناه عدم التمتع بالامتيازات التي كان يتمتع بها اليهود مثل الاعفاء من عبادة الامبراطور، وبالتالي أصبح على اصحاب الدين الجديد الالتزام بعبادة الامبراطور الروماني كبقية شعوب الامبراطورية، لكن المسيحيين رفضوا ذلك رفضا تاما في تحد واضح للسلطة و رفضوا تقديم

الاضاحي في معابد الامبراطور ،كما رفضوا حرق البخور أمام تماثيله بل ودعوا الى رفض الخدمة في الجيش الروماني لأنه يتبع الامبراطورية الرومانية التي اعتبروها دولة وثنية [36].

4. الصراع الديني خلال القرنين الأول والثاني للميلاد :

هذا التطور كان بداية للصراع بين السلطة الدينية التي يعتبرها المسيحيون سلطة الاله في الأرض وبين السلطة الدنيوية المتمثلة في الامبراطور ،و تبلورت فكرة التهديد الذي يشكله المسيحيون على كيان الدولة بشكل سريع حيث لم يفرق الرومان بين الوطنية والدين، فالمواطن كان مواطنا بقدر اشتراكه في التعبد للإله، و أسس أوغسطس(Augustus) لهذه الفكرة عن طريق عبادة الامبراطور واتخذ لنفسه لقب الحبر الاعظم ورسخ من بعده الأباطرة الرومان تلك العبادة لتشمل كل أرجاء الامبراطورية، في وقت بدأت قوة المسيحية تنمو وتخرج عن دائرة اليهودية الضيقة المنغلقة على نفسها ما جعل من الرومان يتيقظون، فكان لابد من الاضطهاد لوقف هذا الخطر المتصاعد بالنسبة لهم[37].

4.1. اضطهادات نيرون :

ترجع بداية الاضطهادات الفعلية ضد المسيحيين الى عهد الامبراطور نيرون Neron(54م - 68م) الذي أعتبر المسيح الدجال من قبل المسيحيين ، و قُدم لعدة قرون كأكثر شخصية رمزية للجريمة والانحراف،[38] في وقت كان الرومان لا يفرقون بين المسيحيين واليهود على اعتبار أنهم طائفة يعيشون معزولين عن السكان الرومان ويرفضون الاعتراف بالآلهة القومية ، مما يأجج انعدام الثقة من قبل الرومان تجاههم، غير أنه في عهد نيرون ولأول مرة تم التمييز بين اليهود والمسيحيين،[39] و تم تحميلهم مسؤولية احتراق روما ،ليس لكونهم الفاعلين ولكن بسبب معصيتهم ،والتي أثارت غضب الآلهة وانتقامها، وكانت نتيجة ذلك حسب المؤرخ تاسيتوس (Tacitus) إعدام "حشد ضخم" في روما، وتثبيت بعضهم على الصلبان ،و تم حرق البعض الأخر ليكونوا بمثابة مصابيح في الليل[40] ،توفي على اثر تلك الأحداث القديس بطرس(Saint Peter) عام 64م مصلوبا ،كما أعدم بولس(Saint Paul)الرسول بالسيف في عام 67م [41] ،لقد كان لا يزال الوضع القانوني "للمسيحي" خلال العقود الأولى من وجوده في روما غير واضح تمامًا ،حيث أعتبر كونك مسيحيًا جريمة يعاقب عليها بالإعدام، أما المسيحيون فقد اعتبروها فيما بعد بداية لسلسلة الاضطهادات [42].

4.2. اضطهادات ماركوس اوريليوس :

باشرت السلطة الرومانية سياسة الاضطهاد فنص مرسوم أصدره الامبراطور ماركوس اوريليوس (Marcus Aurelius)بالحكم بالموت على كل من يعترف أنه مسيحي، الا أن فترته عرفت نوعا من الازدواجية بين ميولات الامبراطور وبين ميول الجماهير الناقمة على المسيحيين وسلوكهم،و الذين أصبح المجتمع يلومهم بشدة على سرية اجتماعاتهم، معتبرين ذلك بمثابة علامة على المعارضة السياسية، ولكن ليس كاعتراف بالفساد الأخلاقي الجديد، وانما لامبالاتهم تجاه الدولة. ،وان كان الامبراطور نفسه في حالات كثيرة كان يتماشى في عملية الاضطهاد مع ضغط الجماهير وليس كموقف للسلطة وهو ما يجعلنا نفهم أن عملية الاضطهاد كانت كرد فعل مدفاع عن

النفس من جانب السلطات، وأنه إذا خرج المسيحيون من مخابئهم لخدمة الإمبراطور ، فربما يتم التسامح مع دينهم وهو ما معناه الاعتراف بعدد وقوة المسيحيين في ذلك الوقت[43].

ان سلوك الامبراطور ماركوس أوريليوس في الإجراءات التي اتبعها ضد المسيحيين يفهم من خلال تبنيه لمجموعة من الأفكار الفلسفية ،حيث يفترض وجود الآلهة لكنه نادرًا ما يسميها أو يعترف بها ،وإن كان عهده سجل وجود عبادة (ايزيس)وتنفذها في الإمبراطورية الرومانية ،[44] ما استوجب قمع المسيحية ومتابعتها، على عكس من قبله تراجان[45] و(هادريان) و(أنطونيوس)، ليقوم بالبحث عن المسيحيين واضطهادهم، وهو ما منعه تراجان على بليني ،ومن هنا جاءت مأساة(ليون) عام 177م، حيث نرى في أعقاب حركة شعبية تم اضطهاد العديد من المسيحيين و سميت تلك المجزرة بحادثة "شهداء ليون" والمعروفة من خلال كتابات يوسابيوس القيصري، حيث ينقل رسالة كتبها مسيحيو المدينة إلى سكان مقاطعة آسيا أن الاضطهاد كان عنيفًا في ذلك الوقت في جميع أنحاء الإمبراطورية وتسبب في "موت أعداد لا تعد ولا تحصى من الشهداء"، ما يبين حجم المأساة ، فقد تم تعذيب مسيحيي ليون خلال الأعياد الوثنية السنوية الكبرى ، [46]وإن كانت شهادة يوسابيوس القيصري تنطوي على نوع من المبالغة في عدد الضحايا المسيحين ، و في شهادة أخرى لإيريناوس ، تم تسليم خليفة بوتين أسقف كنيسة ليون ، في 1 أغسطس 177م ،للموت في أعياد العبادة الإمبراطورية ،ومن ثم الأسقف بوتين نفسه و رمي للوحوش ،وأمر بعدها ماركوس أوريليوس بالإفراج عن من يرتد عن المسيحية واعدام المتمردين بالإعدام [47].

انتهت الاضطهادات قبل وقت قصير من وفاة ماركوس أوريليوس لأسباب غير معروفة، كانت ازدواجية ماركوس اورليوس محل انتقاد لدى المؤرخين المسيحيين بسبب وقوفه بين نقمة الجماهير وبين واجب السلطة في الحفاظ على كيانها ،ويعتقد ترتليان(Tertullianus) مثلا أن هذا الإمبراطور كان حاميًا للمسيحيين بسبب مرسوم موجه ضد متهاميهم،[48] كان الاختلاف في الرؤية والحكم على الإمبراطور من قبل المسيحيين ومؤرخي الكنيسة المسيحية يعكس نقطتين حول طبيعة الصراع الديني الأولى أن الاضطهاد لم يكن متواصل بل متقطع، والثانية أن نوعية وحدة الاضطهاد لم تكن متساوية في كل الفترات وكل المناطق، لذلك نشهد اختلاف بين كل امبراطور وكل منطقة انتشرت فيها المسيحية وذلك راجعا ربما لفشل السلطات الرومانية في تقدير الاختلافات بين حماسة "المسيحيين" وبين قادتهم، لذلك تفاوتت المواقف تجاههم بين الاستعداد للتسوية مع الاضطهاد والتهرب منه[49].

4.3. اضطهادات كومودوس:

ومع تولي الامبراطور كومودوس (Commodus)عرف المسيحيون فترة ثلاثة عشر عامًا من السلام، وتجدر الإشارة إلى أن كومودوس كان متساهلًا معهم [50]، على الرغم من وجود عدد قليل من الشهداء المعزولين بسبب الظروف المحلية، وأشهرهم المسيحيين الاثني عشر في مدينة(سكيليوم) الصغيرة في نوميديا المحكوم عليهم بقرطاج، غير أن الامبراطور كومودس لم يهتم كثيرًا بتقدم الكنيسة وزيادة نفوذ المسيحيين، بل إنه قيل أن خليته (مارسيا) كانت مسيحية ،وحصلت منه على عفو خص مسيحيين معترفين بالإيمان المسيحي الذي تعاقب عليه السلطة الرومانية والذين تم نفيهم الى سردينا عقوبة لهم[51].

خلال هذا العهد ، خرجت الكنيسة من مخبأها ، مستفيدة على أفضل وجه من التسهيلات التي توفرها القوانين المواتية في روما نفسها ، ومن جهل الوثنيين بمدى تغلغل المسيحية في المجتمع والسلطة معا، لم يحترسوا لمدى توسعها أو انهم لم يقدروا مدى قوتها ،غير أنهم ادركوا ذلك لاحقا، بعد تمركزها وتحولها عن حالة المهادنة في بدايتها ،فأعلنوا بذلك ابادة الطائفة المنبوذة .

5. الصراع الديني خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد :

5.1. اضطهادات سيبتيموس سيفيروس:

صعد الامبراطور سيبتيموس سيفيروسSEVERUS (LUCIUS SEPTIMIUS)للحكم، مع مطلع القرن الثالث ميلادي، وهو الامبراطور ذو الأصول الافريقية [52]،والذي عرف بعبادة الاله المصري سارابيس (Sarapis)، الإله الذي رعاه البطالمة ،[53] هذه العبادة المصرية بطقوسها وأسرارها ستجعل من سيبتيموس يأخذ موقف مرتابا من المسيحية، حيث أصدر مرسوم يعود تاريخه إلى حوالي 202م (وقت عودته من الشرق)، يحظر عمومًا أي تبشير لليهود والمسيحيين،[54] كان من أثاره القبض عام 203م على6مسيحيين كانت بينهم امرأة في مقتبل العمر من مدينة طبرية ألقي بهم الى الحيوانات أمام مرأى العامة ،[55] وان كان هذا الاضطهاد يأخذ صبغة شعبية أكثر منه سلطوية، و لم تكن عمليات الإعدام التي نُفِّذت في إفريقيا في عهد الحاكم (هيلاريانوس)حوالي عام 202م ، نتيجة المرسوم ولكنها تتوافق مع الحركات الشعبية الناقمة ضد المسيحيين، حيث اتهم المسيحيون مرة أخرى بعدم المشاركة في الاحتفالات العامة ورفضهم التضحية من أجل التحية الامبراطورية ، و يعتبر ترتليان أن عهد سيفيروس كان وقت سلام للمسيحيين ، ولم يجرم أي شيء سوى الحكام الذين يستسلمون لعويل الجماهير الناقمة على المسيحيين [56].

5.2. اضطهادات ديسيوس:

أعقب فترة حكم الأسرة السيفيرية مرحلة جديدة في العلاقة بين السلطة الرومانية والمسيحية حيث بدأت موجة من الاضطهاد الممنهج على يد ديسيوس (Traianus Decius)والذي بدأ بمحاولة إعادة توحيد الإمبراطورية الرومانية. مؤكدا على الدين الروماني القديم ،من خلال تنشيط ممارسات العبادة والطقوس و ترميم مباني المعبد وعناصرها الزخرفية الداخلية والخارجية ونتيجة لسياساته ، قام بتهميش أو حظر الطوائف التي اعتبرها الأكثر تهديدًا للوحدة ، وخاصة المسيحية،[57] الذي أمر بالقبض على معتنقيها وملاحقتهم وانزال العقاب بهم ،و أصدر هذا الامبراطور [58] في عام 249 م مرسومًا يقضي بأن يقدم جميع سكان الإمبراطورية التضحية للآلهة ،في محاولة لانتزاع إعلان الولاء من المسيحيين[59].

واستخدم مسؤولو ديسيوس قوائم التعداد، وهي الآلية الإدارية التي جعلت من الممكن تحصيل الضرائب بشكل منهجي، لفرض الامتثال الفردي للأمر، [60] كان هذا تطورًا جديدًا مهمًا بشكل عام في سياق الصراع الوثني المسيحي، كانت اللوائح المتعلقة بالتضحيات المقدمة نيابة عن الأباطرة، أو لأي سبب آخر، تشكل خطوة نحو السيطرة على المسيحيين واحصائهم وقد طلب ديسيوس من الجميع أو على الأقل جميع أصحاب المنازل، الوقوف وإحصاء عددهم، وفي بعض أجزاء الإمبراطورية طلب الإمبراطور الحصول على شهادة تفيد بأنهم قد

ضحوا للآلهة وعرف الرومان أن المسيحيين لن يوافقوا على ذلك بأي حال من الأحوال ، وقد تم العثور على العديد من هذه الشهادات ، خاصة في مصر في سياسة تهدف لممارسة سيطرة مركزية ، بتوجيه من الإمبراطور نفسه .[61] والذي أعتبر أحد أعنف مضطهدي المسيحيين. وربما كان أول إمبراطور روماني سعى بنشاط لتدمير المسيحية، الا ان تم قتله في معركة سنة 251م[62] .

5.3. اضطهادات فاليريان :

أدت وفاة ديسيوس إلى حرب أهلية بين القادة الباقين على قيد الحياة، ولم يتمكن أحد من السيطرة على العرش بشكل آمن حتى عام 253م، في ذلك الوقت تم ترشيح ليسينيوس فاليريان (*Licinius* Valerian) (253م-260م) من قبل القوات.،كان آخر ممثل للأرستقراطية الجمهورية القديمة لشغل المنصب الإمبراطوري ، وسعى إلى الحكم من خلال التعاون مع مجلس الشيوخ ،[63]وكان يُنظر إليه على أنه حارس الإمبراطورية من خلال قوة الرعاية الإلهية(لجوبيتر) في وقت عصف الطاعون بالإمبراطورية الرومانية،[64] لقد خلف اضطهادا فالريان العنيف العديد من الضحايا و أدى هذا الاضطهاد إلى اعتقال ومحاكمة الأسقف سيبريان *(Cyprianus)* نفسه، واحتفظت المصادر المسيحية بسجل مفترض لجلستي استماع ، حيث حوكم الأسقف من قبل حاكم إفريقيا ، (أسباسيوس باتيرنوس) في 257 و(غاليريوس ماكسيموس) في 258 م، والتي أدت الأولى إلى نفيه ، والثانية إلى إعدامه [65].

وفي خضم الصراعات والازمات الداخلية والخارجية التي عصفت بالإمبراطورية من كل الجوانب اتهم المسيحيين بإثارة غضب الالهة وتم تحميلهم المسؤولية في محاولة من السلطة للعب على وتر امتصاص حالة الغليان الشعبي وتفاديا لتعفن الأوضاع أكثر وفي نفس الوقت اعطاء مبررات للقيام بسلسلة أخرى من الاضطهادات العنيفة لقد كان الإمبراطور(فاليريان) عازمًا على تدمير الإيمان المسيحي الذي بدا أنه يهدد ، فلسفيًا وماديًا ، أسس حكمه. [66] عن طريق ضرب التسلسل الهرمي المسيحي. فدعت أحكام مرسومه الأول بالاضطهاد إلى إبعاد رجال الدين الكبار وغيرهم من الأفراد المتمردين بشكل خاص كما يحظر المرسوم على المسيحيين التجمع أو زيارة المقابر ، وأي مخالفة تنتهي بعقوبة الإعدام. أما (المرسوم الثاني) لمجلس الشيوخ يدعو إلى اتخاذ تدابير أحدث وأكثر قسوة ضد الكنيسة ، حيث طُلب من المسيحيين المنتمين إلى الطبقات العليا مصادرة ممتلكاتهم ؛ وإذا استمروا في المسيحية ، كان من المقرر إعدامهم، علاوة على ذلك ، تابع اضطهاد ومعاقبة الأساقفة والكهنة والشمامسة. [67]

5.4. اضطهادات جالينوس :

بعد وفاة الامبراطور فاليريان في عام 260م تولى جالينوس(GALLIENUS) (LICINIUS EGNATIUS) السلطة في عام 261م و أصدر الامبراطور مرسوم يقضي بالتسامح الديني يعد الأول من نوعه، وأعترف فيه بأن المسيحية مسموح لها ويحرم على الوثنيين التعرض لدور العبادة المسيحية ،وأمر بأن يرد للمسيحيين ما كان قد صودر منهم من أملاكهم، ويرى ذلك من خلال رسالة إلى ديونيسيوس، أسقف الإسكندرية، وأساقفة آخرين، سمح لهم

فيها باستعادة كنائسهم. وضمان حريتهم في العبادة. كما أعاد الوصول إلى المقابر المسيحية، كانت هذه فترة من التجديد الديني الكبير في العالم الروماني [68].

وهكذا أقدم الامبراطور جالينوس(Gallienus) على خطوة جريئة لم يسبقه اليها امبراطور حيث أصدر مرسوم غاليانوس للتسامح ،كان السلام الطويل لجالينوس ظاهرة استثنائية ، نعم خلالها المسيحيون بفترة سلم طويلة سعوا فيها الى اعادة بناء ما خلفه الاضطهاد من فقد الكثير من اخوانهم وتمكن المسيحيون طيلة الاربعين سنة التي توفر فيها هذا الوفاق بين السلطة والكنيسة من تنظيم أنفسهم [69].

5.5. اضطهادات أوريليان:

مع دخول عهد الامبراطور أوريليان(LUCIUS AURELIANUS)وبعد الجهود السابقة المضنية لاستعادة الوحدة والنظام لإمبراطورية التي كانت مهددة بالانقسام، اتخذ أوريليان سياسية جديدة تقوم على الترويج لعبادة إله الشمس، سول إنفيكتوس(SOL INVICTUS) ، وارجاع مكانة الديانة الرسمية للدولة وقدم نفسه على أنه إله يعمل من أجل مصالح البشرية كشريك أرضي لسول. ما جعله يقوم بتجديد الاضطهاد يمكن تفسيره بشكل أفضل من منظور محافظته الدينية أكثر من تفسيره من حيث التطرف الديني [70].

شهدت هذه الفترة أيضًا تركيزًا متزايدًا على المعتقدات التوحيدية، على مستوى العبادة الشعبية، بين المثقفين والنخبة الحاكمة التي عرفت تنصر الكثير من أعضائها وهي حقيقة كان لها آثار مهم على طبيعة الصراع الوثني المسيحي، فقد أصبح القادة المسيحيون واثقين بشكل متزايد من دورهم في المجتمع لقد تم في سنة 270م احصاء 300 مسيحي تم العثور عليهم في مجلس الشيوخ الروماني ، وفي الوفد الإمبراطوري ، وفي الجيش الروماني. ، [71] و ناشدت مجموعة من قادة الكنيسة من آسيا الصغرى وسوريا الإمبراطور أوريليان للتدخل في نزاعهم الداخلي مع أسقف أنطاكية ، وكان الإمبراطور قد حكم لصالحهم ولإقالة الاسقف، [72] لقد منع الموقف الرافض للمسيحيين تجاه عبادة كل من الإمبراطور نفسه و راعيه سول إنفيكتوس من تمديد حالة السلام وأعتبر أوريليان رفض المسيحيين تكريم آلهة روما والاعتراف بشبه الألوهية ليس فقط كتهديد للمجتمع ولكن كتحدي لسلطته الشخصية، مهما كانت أسبابه يبدو أن أورليان كان عازم على تجديد الاضطهاد في الأشهر القليلة التي سبقت موته [73].

كان هذا مقدمة واضحة لمشاركة أباطرة القرن الرابع في شؤون الكنيسة الكبرى .ما يعني أن المسيحيين شكلوا "العنصر الديناميكي في المجتمع الروماني وأنه بحلول القرن الثالث لا يمكن لأي إمبراطور أن يحكم بشكل آمن دون موافقة مسيحية، [74]فرض الانتشار المسيحي نفسه ،فلم يعد الصراع فقد محصورا على النطاق الداخلي في المجتمع بين الوثنيين من الجماهير الناقمة على المسيحية والمسيحيين الرافضين لكل العبادات والممارسات الوثنية، بل إن التقدم المسيحي تغلغل في السلطة ليصطدم بالإمبراطور نفسه ،و دائرته المقربة وهو ما شكل نقطة انعطاف حقيقية في الصراع وشدة الاضطهاد ،خاصة وأن الامبراطورية دخلت في دوامة أزمة القرن الثالث

،لتثقل كاهل الدولة وتأزم الأوضاع أكثر ،ويكون التحدي أمام السلطة الرومانية مضاعفا، في مواجهة الخطر المسيحي المتنامي وفي اعادة الاستقرار للإمبراطورية المهدد بالانهيار والانقسام معا .

5.6. اضطهادات دقليانوس:

اعقب وفاة الإمبراطور كاروس (CARINUS) (282م-284م) اختيار الجيش أحد ضباطهم دقلديانوس (DIOCLETIANUS) إمبراطورًا ،و تم إعلانه في 20 نوفمبر 284م[75] .. كان دقلديانوس، مثل معظم أسلافه، ضابطًا عسكريًا من شبه جزيرة البلقان.، كان قادما بفكرة إصلاحية، حيث مثل حكمه نهاية أزمة القرن الثالث وبداية فترة جديدة من الاستقرار، فضلاً عن اتجاه جديد في سياسة الإمبراطورية.. كانت رؤية دقلديانوس الأولى بعد الفوضى العسكرية والفوضى الإدارية، هي تثبيت قوته وتوفير قيادة ثابتة للإمبراطورية بأكملها .[76] عن طريق إعادة الاعتبار لمركزية الدين الروماني في السلطة، وخلق سياسية دينية جديدة تقوم على إعادة تأكيد السمات الأساسية للوثنية التقليدية ،بما لا يشبه عبادة الشمس لأوريليان ولا مشابهة للمسيحية من حيث التوحيد، كان دقلديانوس يسعى إلى ختم تحوله في العالم الروماني من خلال تدمير الكنيسة [77]والترويج لعبادة جوبيتر باعتباره الكائن الإلهي الأعلى، واعتمد هرقل كرمز رئيسي للإيديولوجية الدينية الإمبراطورية، وأعاد تركيز الانتباه على الشخصيات الرئيسية للآلهة الأولمبية أطلق الإمبراطور مبادرة دينية جديدة صُممت خصيصًا لتعزيز تماسك الإمبراطورية الرومانية، [78] معتبرة أي خروج عنها جريمة، كما أوجد دقليانوس لنفسه نظام السيادة الدينية والسياسية بأن جعل نفسه لاحقا مؤلها على الامبراطورية وأدعى أنه مبعوث ومؤيد من قبل الالهة ، فهو كان يعتقد أنه لا يمكن احياء الامبراطورية سياسيا وعسكريا من دون احياء العقائد الوثنية التي قامت عليها[79] .

هذا التوجه في احياء المعتقدات القديمة لم يكن بصورة قوية في بداية حكمه حيث انشغل بالحروب وتثبيت أركان حكمه ما أعطى بعض من الحرية للمسيحيين، حتى المؤرخ أوسابيوس (Eusebius)اعترف بأن بداية حكم دقلديانوس كانت سلمية فيما يتعلق بالمسيحيين، خاصة وأن عمليات الاضطهاد الأولى جاءت ضد الطوائف الدينية الشرقية ومنها المانويين ، الذين ترسخوا بقوة في مصر وشمال إفريقيا، يقول أوسابيوس أن التطهيرات ضد المسيحين حدثت قبل وقت طويل من اندلاع الاضطهاد العظيم[80] وأن بعض التطهيرات حدثت في العام السادس عشر من حكم دقلديانوس، أي حوالي 298م-299 م ،غير أن يوسابيوس يرجح أن هناك من ساهم في التحريض والتأثير على دقلديانوس في قراره بتنفيذ اضطهاد عام للكنيسة، [81]ويقصد بذلك غاليريوس,الذي قيل إنه كان معاديًا بشدة للمسيحية طوال حياته[82] .

بدأت الحملة العنيفة للإمبراطور دقليانوس عام 303م ضد المسيحين الخارجيين عن قانون الامبراطورية وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقين للديانة المسيحية الذين وجب اعدامهم ،بدعوى أن الرب لم يقبل ذبيحة الامبراطور بسبب وجود بعض من جنوده مسيحيين أفشلوا احتفاله مع الاله [83]، خاصة وأن عدم الامتثال لطقوس تقديم التضحية للإمبراطور، والتي تعتبر الاختبار الحقيقي لموقف المسيحي من الحكم الإمبراطوري، كان يعد عملا تخريبيًا يستوجب العقوبة الرادعة ، ويبدو أن دقليانوس اقتنع أن لا طريقة للتغلب على هذه المشكلة الا باضطهاد المتمردين ،والا فإن عملية التجنيد في جميع أنحاء الإمبراطورية سيكون عرضة للخطر[84] ومع ذلك

فإن دقليانوس في توجهه العنيف ضد المسيحية، اعتبر تارة مناهض لكل ديانة غير الوثنية بحكم خوفه على الامبراطورية وكونه دكتاتورا متعسفا مثلما حدث مع المسيحية والمانوية ،وتارة بسبب كون المفوض الالهي الأوحد .وأين كانت دوافع دقليانوس الا أن أساس سياسته يقوم على ارجاع السلطة الدينية في يد الامبراطور لضمان الوحدة الدينية للإمبراطورية.

6. الصراع الديني في عهد قسطنطين ونتائجه:

مع صعود قسطنطين(Flavius Valerius Constantinus) للسلطة (306م - 337م) تغير نمط وحدة الاضطهاد، و دخلت المسيحية مرحلة جديدة ،كان عنوانها الابرز المهادنة وحرية العبادة ،وأصبح تأثير الاضطهاد غير محسوسً بالتساوي في جميع أنحاء الإمبراطورية ، لأنه اعتمد على حماسة المسؤولين في المقاطعات لتطبيقه ،ودور الجماهير الناقمة على المسيحية ،والتي تختلف من منطقة الى اخرى ،و يبدو أن آثار الاضطهاد قد ألغيت بالكامل في المقاطعات الغربية في وقت مبكر،[85] فبعد معركة (جسر ميلفيان)(Milvian) ، 312 م ، التي فقد فيها ماكسينتيوس حياته ، ظل قسطنطين الكبير وليسينيوس (Valerius Licinianus Licinius)الأباطرة الوحيدين للإمبراطورية الرومانية ، قسطنطين بصفته مسؤولا عن الغرب ، وليسينوس عن الشرق. وفي العام التالي 313م، أصدر كلاهما (مرسوم ميلانو(Edict of Milan)) ، الذي منح بموجبه الحرية الدينية الكاملة للمسيحيين، إن هذا القرار "غير وجه الصراع "، وكان قسطنطين المحرك الرئيسي له ،على الرغم من أن ليسينيوس في ذلك الوقت لم يكن معاديًا للمسيحيين، غير انه من المحتمل أنه أعطى موافقته بشكل رئيسي احترامًا لشريكه الإمبراطور قسطنطين. لأنه ظل طول حياته وثنيا[86] .

كانت القضية المركزية لسياسة الدولة الجديدة هي تأسيس حرية العبادة في جميع أنحاء الإمبراطورية، خاصة وأن دقليانوس فشل في ترسيخ الوحدة الدينية لضمان استمراريته ،وهو هدف كان كل من الامبراطورين مستعدين للاتفاق عليه،كانت وجهات نظر قسطنطين المسيحية نفسها متأثرة كثيرًا بالوثنية ، خاصة وأن الحدث الحاسم في تحوله كان التفسير المسيحي لهالة شمسية المذهلة في معركته الفاصلة[87] ،كان دينه على ما يبدو شكلاً توفيقيًا من التوحيد ، متراكمًا من عبادة الشمس القديمة وعبادة إله النور، هنا تستطيع [88]جنبًا إلى جنب مع عبادة الصليب. على الرغم من وجود العديد من العناصر الوثنية على ما يبدو في معتقد قسطنطين ، إلا أنه لا يوجد أي أثر لتعدد الآلهة ، ويبدو أنه كان موحِّدًا كاملًا طوال حياته في شكل من أشكال المسيحية [89] ..

غير أن الموقف الديني المتغير لقسطنطين والوجود المسيحي المتزايد، يعني أن الصيغ الوثنية التقليدية لم تعد مقبولة في خطب المدح لهذا الحاكم، و أدرك الخطاب أن ربط قسطنطين بالآلهة الوثنية سيغضب الإمبراطور ويغضب المسيحيين في حاشيته، ومع ذلك فقد شعر أن ذكر المسيح باعتباره الراعي الإلهي للإمبراطور سيكون خيانة لدينه ومعتقدات أسلافه الوثنين، زيادة على عدم ارتياح الوثنيين في حاشيته، لقد حل مشكلته باتباع سياسة دينية مهادنة وباستخدام المصطلحات الدينية التوفيقية [90]التي تضمن مساحة من الحياد بين الطرفين ومساحة أكبر للمناورة من قبل الامبراطور نفسه، ولتتحول لاحقا الى وسيلة تنفذ على المسيحيين و احتواء للوثنيين، على الرغم من أن قسطنطين ألغى الاضطهاد الديني، إلا أنه على ما يبدو لم يحاول ترسيخ المسيحية

كدين رسمي للإمبراطورية بالقوة ، غير أنه يجب أن يُنظر إليه على أنه أول قائد يؤسس مبادئ عامة للتسامح الديني، مما يسمح لكل إنسان أن يعبد إلهه أو آلهته وفقًا لإملاءاته، يبدو أن قسطنطين خلص إلى أن التسامح مع الدين المسيحي كان سياسة أفضل من الاعتداء على الكنيسة المسيحية ،خاصة وانه حصل على الخدمة المسيحية للدولة الرومانية عكس أسلافه الذين تسببوا فقط في فوضى دموية في المجتمع الروماني، ربما كان قسطنطين قد واجه مسيحيين في الجيش قبل الاضطهاد ، وحكم عليهم بأنهم رجال شجعان ومشرفون يمكن الاعتماد عليهم في ترسيخ أركان حكمه وسيطرته [91].

وبعد مرسوم التسامح الديني الشهير الصادر في ميلانو عام 313م عن قسطنطين وليسينيوس، أصبحت المسيحية دينًا مسموحًا به، دينًا قانونيًا للإمبراطورية، و أن العبادة المسيحية هي عبارة عن طائفة دينية داخل الإمبراطورية الرومانية ، والكنيسة المسيحية كيانات اعتبارية تتمتع بسلطة قضائية لعقد الملكية الجماعية بموجب القانون الروماني ، والمسيحيين المؤمنين كمجموعة دينية محمية تتمتع بحق غير معوق لعبادة إلههم في المجتمع الروماني [92]وهو ما يعني أنها لم تعد تخضع لأي نوع من المتابعة القضائية ولا من الاضطهاد ، ورغم صياغة بنود مرسوم ميلانو الا ان قسطنطين ظل ال(Pontifex Maximus) ، الرئيس الرسمي للوثنية ؛على الرغم من أنه يبدو أنه يميل أكثر فأكثر نحو المسيحية ، إلا أنه لم يتخلَّ عن الوثنية أو يحاول محاربتها. عند وفاته ، تم تأليهه وتسجيله بين الآلهة من قبل مجلس الشيوخ الروماني مع أسلافه الوثنيين[93].

أصدر قسطنطين تشريعات كبيرة بشأن المسيحيين والمسيحية أعفى قسطنطين رجال الدين من الضرائب التي يفرضها القانون الروماني على غير المتزوجين، لقد أمر بتقديس يوم الأحد، وأعطى الكنائس صراحة حق التملك عن طريق الوصية. قدم قساوسة عسكريين؛ كان على كل فيلق أن يكون لديه عدد معين من رجال الدين وخيمة كبيرة لتكون بمثابة كنيسة في المخيم أصدر قوانين لحماية النساء والأطفال والعبيد، رغم أنه في هذه النقاط لم يجرؤ على الذهاب إلى أبعد مما تتطلب الشريعة الأخلاقية للكنيسة.[94] والتي كانت ضرورية لإزالة القيود على المسيحية ووضعها على قدم المساواة مع الديانات الأخرى للإمبراطورية. [95] دون تقييد للحرية الدينية للوثنيين ، الذين ما زالوا يشكلون الغالبية بالنظر إلى مشاعر الكراهية والازدراء الفائقة التي نظر بها الوثنيون إلى المسيحيين[96] .

خاتمة:

كانت من بين العوامل الحاسمة التي أدت إلى الانتصار النهائي للمسيحية في صراعها مع الوثنية وسلطتها الرومانية، تتمثل في كونها استطاعت تلبية الاحتياجات الروحية والمادية للفرد الروماني، الذي لم تنجح الديانة الرومانية والديانات الشرقية بمختلف معتقداتها في ملء فراغه الروحي، وبذلك تكونت بوضوح ميول مجتمعية تبحث عن بدائل خارج دائرة المعتقد الروماني، وعمل المسيحيون من خلال كتبهم المقدسة ورسائلهم وأتباعهم على ترسيخ فكرة أن يسوع قد مات على الصليب فداء للبشرية وتعويضا عن خطاياهم، وأنهم بتباعه سيحضون بالأبدية في ملكوته ، في مقابل المعتقد الوثني الذي يعطي الإمبراطور الأحقية الألوهية على حساب الفرد والمجتمع، ويفرض عليهم القيود باسم عبادة الامبراطور، إن جاذبية فكرة تضحية الإله نفسه في سبيل سعادة البشر

وسعت من دائرة الداخلين في المسيحية وزادت من وتيرة انتشارها، خاصة وأن الأوضاع المتردية وانتشار الأوبئة الذي ضرب الإمبراطورية ساهم في تغذية مشاعر الكره تجاه السلطة التي فشلت في تحقيق الرفاهية لمواطنيها .

هذه النزعة المسيحية الرافضة والمتمسكة بألوهية المسيح وأحقيته في العبادة، بررت للسلطة الرومانية تطبيق سياسة الاضطهاد الديني، بداية من عهد الامبراطور نيرون الى الاضطهاد العظيم في عهد دقليانوس، والذي زاد من تماسك المسيحية وبين حجم قوتها رغم استهداف قادتها وكنائسها وأتباعها، ما يبرز بوضوح نجاح المسيحية من حيث كونها استطاعت الانتقال من مرحلة الفكرة ثم الدعوة الى مرحلة التأسيس والهيكلة بنظام صارم ومنهج ديني واضح المعالم بداية من القرن الثاني للميلاد

هذا التنظيم والهيكلة مهد الطريق لتنفُّذهم وسيطرتهم لاحقا، والذي استفاد منه الإمبراطور قسطنطين في صعوده للسلطة مستغلا قوة المسيحين وتنظيمهم في ضرب خصومه وتثبيت أركان حكمه ، ثم مستخدما نفس السياسة الدينية للأباطرة السابقين والذين انطلقوا من مركزية الديانة الرومانية الوثنية في الحكم والتي جعلها قسطنطين على قدم سواء مع المسيحية، في محاولة منه لتحقيق الحرية الدينية وترسيخ سيطرته، خاصة وأن الوثنيين ما زالوا يشكلون تقريبا تسعة أعشار السكان، وهو مالم تنجح المسيحية في القضاء عليه بسرعة نظرا إلى مشاعر الكراهية والازدراء الفائقة التي نظر بها الوثنيون إلى المسيحيين والتي لم يكن من الممكن التخلص منها في تلك الفترة الوجيزة، التي أعقبت قرونا من المعتقدات والإرث الوثني الراسخ في كل أرجاء الامبراطورية والذي لم تتجاوزه بسهولة بل انها احتوته في كثير من مراحلها وأسسها ومعتقداتها و أدخلت الكنيسة في العقد الثاني من القرن الرابع في انقسامات داخلية لا حصر لها.

المراجع :

[1] خزعل الماجدي، المعتقدات الرومانية، دار الشروق ، الأردن، 2005،ص3 .

[2] David potter ,the emperors of rome ,quercus editions ,london,2013,p99.

[3] Peter garnsey & richard saller ,the roman empire economy society and culture ,second edition,bloomsbury ,london ,2014 ,p187.

[4] Clyde pharr ,constantine and the christians , american classical league, march 1939, vol 16, n 6 , pp. 57-58.

[5] Stephen mitchell,op.cit,p5.

[6] رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة ، المكتب المصري للنشر والتوزيع ،مصر ، 2001 ،ص175.

[7] Martin goodman ,jews in a graeco-roman world, oxford university press,uk,2004, p3 .

[8] الكتاب المقدس، سفر ارميا، الآية 2-4 .

[9] Wh.c frend, the rise of christianity, fortress press, philadelphia,1984, p38.

[10] Jacob neusne, studies in judaism in late antiquity , leiden ej brill, netherlands, 1976, p539.

[11]حافظ أحمد غانم ،المرجع السابق، ص 115.

[12]فراس السواح ،المرجع السابق ،ص 172.

[13]حافظ أحمد غانم ،المرجع السابق، ص116.

[14]فراس السواح، المرجع السابق ،ص 181.

[15] Michel rouche,op.cit, p28

[16]فراس السواح ،المرجع السابق ، ص184.

[17] Lucius Cassius,Dio's rome, livre v, 68, 32.

[18]سعيد حبيب ،فجر المسيحية ،دار الجيل للطباعة والنشر ،مصر ،بدون تاريخ ، ص27.

[19] Patrick le roux ,le haut-empire romain en occident d'auguste aux sévères 31 av. J.-c. - 235 apr. J.-c, éditions du seuil, madrid,2003,p371.

[20]الكتاب المقدس ،سفر أرميا ، 34-31.

[21] Wh.c frend,op.cit, p12 .

[22]حافظ أحمد غانم، المرجع السابق ، ص117.

[23]سعيد حبيب ،المرجع السابق ،ص 20.

[24] David potter,op.cit,p104.

[25] Christianity and roman society p20.

[26] Michel rouche,op.cit, p28.

[27]الكتاب المقدس ، سفر رؤية يوحنا ،الآية 11: 1.

[28] Anthony birley,op.cit,p259.

[29] Timothy e gregory,op.cit,p25.

[30] Alaric watson, aurelian and the third century, routledge,usa,2003, p199.

[31]the monotheists, princeton university press,usa,2004, p24. F. E. Peters,

[32]Timothy e gregory,op.cit,p25.

[33] Jacob neusne,op.cit, p382.

[34]حافظ أحمد غانم، المرجع السابق ، ص118.

[35] Michel rouche,op.cit, p34.

[36]حافظ أحمد غانم، المرجع السابق، 120.

[37]أسد رستم ،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،الجزء الأول ، دار المكشوف، بيروت لبنان 1955 ، ص 35.

[38]néron,perrin,paris,2019, p132. Salles, Catherine

[39] Jacob neusne,op.cit, p382.

[40] Tacitus ,annals , livre 15, 44.

[41] salles,op.cit,p133. Catherine

[42] Anthony birley, marcus aurelius, routledge,usa,2000, p257.

[43] رشاد الشامي، المرجع السابق ،ص، 175- 180 .

[44] Marcel van ackeren ,op.cit,p203 p204 .

[45]وضع تراجان تعليمات بعدم مطاردة المسيحيين وترك مصيرهم فعليًا في أيدي المجتمع الذي يعيشون فيه ، أي الوثنيين. نظرًا لأنهم رفضوا تكريم الآلهة الوثنية انظر .Anthony birley, marcus aurelius, routledge,usa,2000, p258

[46]Paul petit histoire générale de l'empire romain paris, ed du seuil,paris,1978,p123.

[47] Patrick le roux,op.cit,p370.

[48] Paul petit,op.cit,122.

[49] Anthony birley,op.cit, p259.

[50] Simon turney, commodus, uk,2019, p378.

[51] ibid,p378.

[52]سيبتيموس سيفروس ولد في 11 أبريل 145 ، في lepcis magna طرابلس حاليا والتي كانت مستعمرة رومانية في ليبيا أنظر: the septimius the anthony r.birley, african emperor.

[53]septimius the african emperor, routledge,usa,2002,p181. Anthony r.birley,

[54] Paul petit,op.cit,123.

[55]توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ،الزهراء للإعلام العربي، مصر ،1991،ص 55.

[56] Paul petit,op.cit,124.

[57] Pat southern,op.cit. P74

[58]حافظ أحمدغانم المرجع السابق ، ص 122.

[59] p540. Jacob neusne,op.cit,

[60] Stephen mitchell,op.cit,p257.

[61]Timothy e gregory,op.cit,p25.

[62] Timothy e gregory,op.cit, p 25.

[63] ibid,p26.

[64]Hornsby roger allen, studies in the reign of valerian and gallienus, princeton university proquest dissertations publishing ,usa, 1952 , p60.

[65] Stephen mitchell,op.cit,p258.

[66] Hornsby roger allen,op.cit, p59.

[67]Christopher J. Haas, imperial religious policy and valerian's persecution of the church, a.d. 257-260, Church History, Catholic University of America Press, Vol. 52, No. 2 (Jun., 1983), p133-144.

[68] stephen mitchell,op.cit,p258.

[69] Bill leadbetter ,galerius and the will of diocletian, routledge,usa,2009,p127.

[70] Alaric watson ,op.cit,p202.

[71] Stephen mitchell,op.cit,p258- 259.

[72] Bill leadbetter ,op.cit,p127.

[73] Alaric watson ,op.cit,p200.

[74] ibid,p199.

[75] timothy d. Barnes ,the new empire of diocletian and constantine, harvard university cambridge press, london , 1982, p3.

[76] Timothy e gregory,op.cit, p 33.

[77] Bill leadbetter,op.cit,p 120 .

[78] Stephen mitchell,op.cit,p259

[79] Bill leadbetter,op.cit,p 123

[80]E. Mary smallwood ,the jews under roman rule, brill leiden, netherlands, 1976, p167.

[81] p4. From the great persecution to the peace of galerius author(s): paul keresztes source: vigiliae christianae , dec., 1983, vol. 37, no. 4 (dec., 1983), pp. 379-399 published by: brill

[82] E. Mary smallwood ,op.cit,169.

[83] Bill leadbetter,op.cit,p124

[84] E. Mary smallwood ,op.cit,p167.

[85]Stephen mitchell,op.cit,p283.

[86] The Milan Decree of A. D. 313: Translation and Comment Author(s): Francis S. Betten Source: The Catholic Historical Review , Jul, 1922, Vol. 8, No. 2 (Jul., 1922), pp. 191-197

[87] E. Mary smallwood ,op.cit,p175.

[88]E. Mary smallwood ,op.cit,p178.

[89]. Clyde pharr,op.cit, p57

[90]constantine and the christian empire, Routledge,usa,2004,p147. Charles matson odahl ,charles matson

[91],op.cit ,p73. charles matson odahl

[92] Charles matson odahl,op.cit,p103.

[93] Clyde pharr,op.cit, p58.

[94] Francis S. Betten ,op.cit,p196.

[95]Clyde pharr,op.cit, p58.

[96] Francis S. Betten ,op.cit,p194.